

## التحرير والتنوير

وجملة ( إن ا سميع بصير ) تعليل لمضمون جملة ( ا يصطفي ) لأن المحيط علمه بالأشياء هو الذي يختص بالاصطفاء . وليس لأهل العقول ما بلغت بهم عقولهم من الفطنة والاختيار أن يطلعوا على خفايا الأمور فيصطفوا للمقامات العليا من قد تخفى عنهم نقائصهم بله اصطفاء الحجارة الصماء .

والسميع البصير : كناية عن عموم العلم بالأشياء بحسب المتعارف في المعلومات أنها لا تعدو المسموعات والمبصرات .

( يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى ا ترجع الأمور [ 76 ] ) جملة مقررة لمضمون جملة ( إن ا سميع بصير ) . وفائدتها زيادة على التقرير أنها تعريض بوجود مراقبتهم ربهم في السر والعلانية لأنه لا تخفى عليه خافية .

الشيء لأن يخفونه ما هو ( خلفهم وما ) يظهره لما مستعار ( أيديهم بين ما ) و A E الذي يظهره صاحبه يجعله بين يديه والشيء الذي يخفيه يجعله وراءه . ويجوز أن يكون ( ما بين أيديهم ) مستعاراً لما سيكون من أحوالهم لأنها تشبه الشيء الذي هو تجاه الشخص وهو يمشي إليه .

( وما خلفهم ) مستعار لما مضى وعبر من أحوالهم لأنها تشبه ما تركه السائر وراءه وتجاوزته .

وضمير ( أيديهم ) و ( خلفهم ) عائدان : إما إلى المشركين الذين عاد إليهم ضمير ( فلا ينازعتك في الأمر ) وإما إلى الملائكة والناس . وإرجاع الأمور إرجاع القضاء في جزائها من ثواب وعقاب إليه يوم القيامة .

وبني فعل ( ترجع ) إلى النائب لظهور من هو فاعل الإرجاع فإنه لا يليق إلا با تعالي فهو يمهل الناس في الدنيا وهو يرجع الأمور إليه يوم القيامة .

وتقديم المجرور لإفادة الحصر الحقيقي أي إلى ا لا إلى غيره يرجع الجزاء لأنه ملك يوم الدين . والتعريف في ( الأمور ) للاستغراق أي كل أمر . وذلك جمع بين البشارة والندارة تبعاً لما قبله من قوله ( يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ) .

( يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون [ 77 ] ) لما كان خطاب المشركين فاتحاً لهذه السورة وشاغلاً لمعظمها عدا ما وقع اعتراضاً في خلال ذلك . فقد خوطب المشركون ب ( يا أيها الناس ) أربع مرات فعند استيفاء ما سيق إلى المشركين من الحجج والقوارع والنداء على مساوي أعمالهم . ختمت السورة بالإقبال على خطاب

المؤمنين بما يصلح أعمالهم وينوه بشأنهم .

وفي هذا الترتيب إيماء إلى أن الاشتغال بإصلاح الاعتقاد مقدم على الاشتغال بإصلاح الأعمال .  
والمراد بالركوع والسجود الصلوات . وتخصيصهما بالذكر من بين أعمال الصلاة لأنهما أعظم  
أركان الصلاة إذ بهما إظهار الخضوع والعبودية . وتخصيص الصلاة بالذكر قبل الأمر ببقية  
العبادات المشمولة لقوله ( واعبدوا ربكم ) تنبيه على أن الصلاة عماد الدين .  
والمراد بالعبادة : ما أمر الله الناس أن يتعبدوا به مثل الصيام والحج .  
وقوله ( وافعلوا الخير ) أمر بإسداء الخير إلى الناس من الزكاة وحسن المعاملة : كصلة  
الرحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر مكارم الأخلاق وهذا مجمل بينته وبينت  
مراتبه أدلة أخرى .

والرجاء المستفاد من ( لعلكم تفلحون ) مستعمل في معنى تقريب الفلاح لهم إذا بلغوا  
بأعمالهم الحد الموجب للفلاح فيما حدد الله تعالى . فهذه حقيقة الرجاء . وأما ما يستلزمه  
الرجاء من تردد الراجي في حصول المرجو فذلك لا يخطر بالبال لقيام الأدلة التي تحيل الشك  
على الله تعالى .

واعلم أن قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ) إلى ( لعلكم تفلحون )  
اختلف الأئمة في كون ذلك موضع سجدة من سجود القرآن . والذي ذهب إليه الجمهور أن ليس ذلك  
موضع سجدة وهو قول مالك في الموطأ والمدونة وأبي حنيفة والثوري .

وذهب جمع غفير إلى أن ذلك موضع سجدة وروى الشافعي وأحمد وإسحاق وفقهاء المدينة  
ونسبه ابن العربي إلى مالك في رواية المدنيين من أصحابه عنه . وقال ابن عبد البر في  
الكافي : " ومن أهل المدينة قديما وحديثا من يرى السجود في الثانية من الحج قال : وقد  
رواه ابن وهب عن مالك " . وتحصيل مذهبه أنها إحدى عشرة سجدة ليس في المفصل منها شيء " .  
فلم ينسبه إلى مالك إلا من رواية ابن وهب وكذلك ابن رشد في المقدمات : فما نسبة ابن  
العربي إلى المدنيين من أصحاب مالك غريب